

48

السلامة

في كرسى
الحكمة

بقلم : ١. عبد الحميد عبد المقصود

رسوم : ١. عبد الشافي سيد

إشراف : ١. حمدي مصطفى



فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِيهِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ
نَبِيًّا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، كَانَ هُنَاكَ عَالَمٌ جَلِيلٌ مِنْ عُلَمَاءِ
بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَكَانَ هَذَا الْعَالَمُ الْجَلِيلُ هُوَ عِمْرَانُ ..
كَانَ عِمْرَانُ هُوَ إِمَامَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الصَّلَاةِ ،
وَالَّذِي يُصَلُّونَ خَلْفَهُ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ ..
وَكَانَتْ لِعِمْرَانَ زَوْجَةٌ ، هِيَ أُخْتُ زَوْجَةِ النَّبِيِّ
زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

وَيَبْدُو أَنَّ زَوْجَةَ عِمْرَانَ لَمْ تَكُنْ قَدْ أَنْجَبَتْ مِنْ
زَوْجِهَا ، كَمَا أَنَّ زَوْجَةَ زَكَرِيَّا لَمْ تَكُنْ قَدْ أَنْجَبَتْ مِنْهُ ..
وَذَاتَ يَوْمٍ رَأَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ مَنْظَرًا حَرَكَ فِي دَاخِلِهَا
الشَّوْقَ وَالْحَنِينَ إِلَى الْإِنْجَابِ ..
رَأَتْ زَوْجَةَ عِمْرَانَ طَائِرًا يُطْعِمُ فَرْخَهُ الصَّغِيرَ وَيَضُمُّهُ
إِلَيْهِ ، وَيَحْنُو عَلَيْهِ ، فَدَعَتْ رَبَّهَا طَالِبَةً مِنْهُ أَنْ يَرْزُقَهَا
بِطِفْلٍ ..

وَاسْتَجَابَ اللَّهُ - تَعَالَى - دُعَاءَ زَوْجَةِ عِمْرَانَ ، فَشَعَرَتْ
يَوْمًا أَنَّهَا حَامِلٌ ..
شَكَرَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ رَبَّهَا ، وَنَذَرَتْ لَهُ الطِّفْلَ الَّذِي
بِطَنُهَا خَالصًا مُحَرَّرًا ..
نَذَرَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ مَا فِي بَطْنِهَا ، لِيَتَفَرَّغَ لِعِبَادَةِ
اللَّهِ - تَعَالَى - وَخِدْمَةِ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ ..
قَالَ - تَعَالَى :

﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي
بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ .

ومضت شهور الحمل ..

وجاء يوم الوضع ، ففوجئت زوجة عمران بأنها
تضع مولوداً بنتاً ، وقد كانت تتمنى أن يكون
المولود ولدًا ، ليكون أقدر على العبادة ، وعلى خدمة
بيت المقدس ، وبرغم ذلك قررت أن تفي بنذرها ،
وتهب البنت للعبادة وخدمة المسجد ..

وأطلقت زوجة عمران على مولودتها اسم (مريم) ،
ثم توجهت إلى ربها قائلة :

﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ۖ ﴾ .

[من الآية ٣٦ من سورة آل عمران]

سمع الله - تعالى - دعاء زوجة عمران ، وهو وحده
الذي يسمع كلام عباده ، حتى لو لم يتكلموا ، حتى
لو كان كلامهم همساً ، أو دعاء خفياً لم تنطق به
شفاهنا .. سمعها سبحانه وهي تخبره بنوع المولود
الذي وضعت ، وأنه أنثى وليس ذكراً كما كانت

تَتَمَنَّى ، وَهُوَ وَحْدَهُ أَعْلَمُ بِنَوْعِ الْمَوْلُودِ ، لِأَنَّهُ
هُوَ الَّذِي يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ..
وَدَعَتْ زَوْجَةَ عِمْرَانَ رَبُّهَا قَائِلَةً :

﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا
زَكَرِيَّا ۖ﴾ . [الآيتان ٣٦ ، ٣٧ من سورة آل عمران]

وَكَانَ عِمْرَانُ قَدْ تَوَفَّى قَبْلَ أَنْ تَضَعَ زَوْجَتُهُ مَوْلُودَتَهَا
مَرْيَمَ ، وَلِذَلِكَ تَسَابَقَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى كِفَالَةِ
الصَّغِيرَةِ مَرْيَمَ .. كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ كَانَ يَتَمَنَّى أَنْ
يَكُونَ لَهُ شَرَفُ تَرْبِيَةِ مَرْيَمَ ، ابْنَةِ شَيْخِهِمْ ، وَإِمَامِهِمْ
فِي الصَّلَاةِ عِمْرَانُ ..

وَكَانَ النَّبِيُّ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوَّلَ الْمُتَسَابِقِينَ عَلَى كِفَالَةِ
مَرْيَمَ ، بِاعْتِبَارِهِ نَبِيَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَبِاعْتِبَارِ أَنَّهُ أَقْرَبُ
وَاحِدٍ لِمَرْيَمَ ، حَيْثُ إِنَّ زَوْجَتَهُ خَالَتُهَا ..
وَكَادَ الْخِصَامُ يَقَعُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ ، بِسَبَبِ حِرْصِ كُلِّ

منهم على أن يكون هو كافل مريم والقائم على

تربيتها ..

ومنعا للخصام اتفقوا على إجراء القرعة ، فمن

كسب القرعة منهم ، كان هو الفائز بتربية مريم ..

وبدأ إجراء القرعة .. وضع زكريا عليه السلام قلمه في

وعاء ، ووضع كل واحد من العلماء قلمه في نفس

الوعاء ..

وأحضروا طفلاً صغيراً ، وطلبوا منه أن يخرج قلماً

من الوعاء ، الذي وضعت فيه الأقلام .. فأخرج

الطفل قلم زكريا عليه السلام ..

حكم الله - تعالى - لزكريا عليه السلام بأن يكفل مريم ..

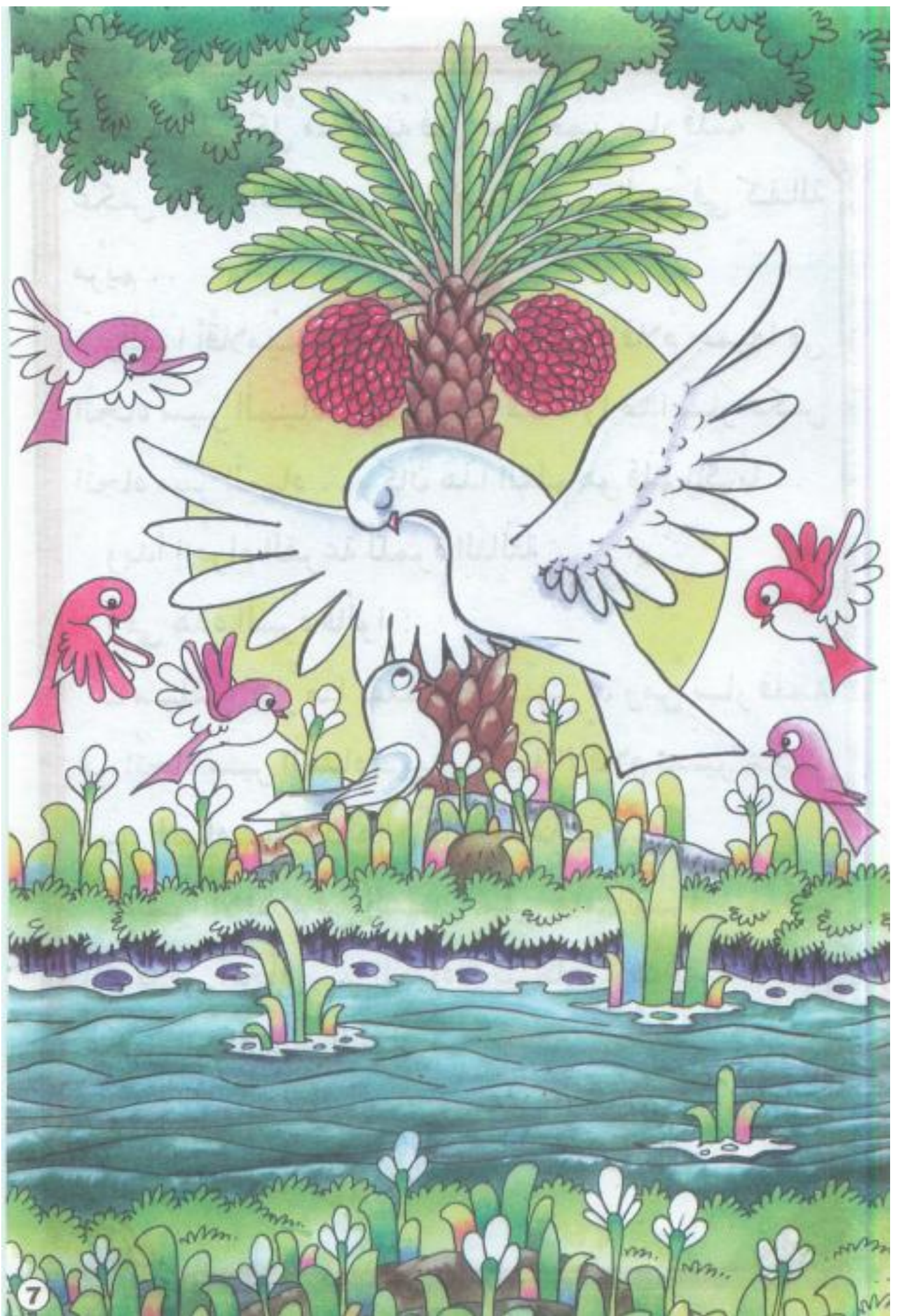
ولكن العلماء اعترضوا .. قالوا :

- لم تجر القرعة سوى مرة واحدة ، ولا بد من

إجرائها ثلاث مرات ..

وبدأ إجراء القرعة للمرة الثانية ..

وفي هذه المرة ، قالوا :



- سِيلْقَى كُلُّ مَنَا قَلَمُهُ فِي النَّهْرِ فَمَنْ سَارَ قَلَمُهُ
عَكْسَ اتِّجَاهِ الْمِيَاهِ ، يَكُونُ هُوَ صَاحِبَ الْحَقِّ فِي كِفَالَةِ
مَرِيَمَ ..

وَأَلْقُوا أَقْلَامَهُمْ فِي النَّهْرِ ، فَسَارَتِ الْأَقْلَامُ جَمِيعًا فِي
اتِّجَاهِ سَيْرِ الْمِيَاهِ ، فِيمَا عَدَا قَلَمًا وَاحِدًا سَارَ عَكْسَ
اتِّجَاهِ سَيْرِ الْمِيَاهِ .. وَكَانَ هَذَا الْقَلَمُ هُوَ قَلَمُ زَكَرِيَّا ..
وَبَدَأَ إِجْرَاءُ الْقُرْعَةِ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ ..
وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ قَالُوا :

- سِيلْقَى كُلُّ مَنَا بِقَلَمِهِ فِي النَّهْرِ ، وَمَنْ سَارَ قَلَمُهُ
فِي اتِّجَاهِ سَيْرِ الْمِيَاهِ - بَيْنَمَا بَقِيَّةُ الْأَقْلَامِ تَسِيرُ عَكْسَ
سَيْرِ الْمِيَاهِ - يَكُونُ هُوَ الْفَائِزُ بِالْقُرْعَةِ ..

وَأَلْقُوا الْأَقْلَامَ فِي النَّهْرِ ، وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ سَارَ قَلَمُ
زَكَرِيَّا فِي اتِّجَاهِ سَيْرِ الْمِيَاهِ ، بَيْنَمَا سَارَتِ بَقِيَّةُ الْأَقْلَامِ
عَكْسَ اتِّجَاهِ سَيْرِ الْمِيَاهِ ..

وَهَكَذَا فَازَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكِفَالَةِ مَرِيَمَ ، وَفِي هَذِهِ
الْمَرَّةِ لَمْ يَعْتَرِضْ أَحَدٌ ..

قال - تعالى - :

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ .

[الآية ٤٤ من سورة آل عمران]

وتسلّم زكريّا عليه السلام مريم ، فخصّص لها مكانا شريفا في المسجد ، لا يدخله سواه ، وكان يقوم



بخدمتها ورعايتها بنفسه ، وربّاهَا حتى كبرت ..
وكانت مريم تعبّد الله - تعالى - وتقوم بما يجب
عليها من خدمة بيت المقدس .. وكانت تقوم
بالعبادة ليلاً ونهاراً في محرابها ، الذي خصّصه لها
زكريّا ، ولا تستريح إلا قليلاً ..

وكان زكريّا عليه السلام كلما دخل عليها المحراب ،
لفت انتباهه وجود شيء غريب .. كان يجد عند
مريم طعاماً لم يقدمه لها .. كان يجد عندها فاكهة
الصيف في الشتاء ، وفاكهة الشتاء في الصيف ..
وكان زكريّا يتعجب كثيراً من وجود هذا الطعام
عند مريم ..

وذات يوم سأّلها زكريّا قائلاً :

- من أين يأتيك هذا الطعام يا مريم ؟ !

فأجابته مريم قائلة :

﴿ هو من عند الله إنّ الله يرزق من يشاء بغير

[الآية ٣٧ من سورة آل عمران]

حساب .

وكانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ شَيْخًا كَبِيرًا ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَنْجَبَ
مِنْ زَوْجَتِهِ ، خَالَةَ مَرْيَمَ - كَمَا قُلْنَا - لِأَنَّهَا كَانَتْ عَاقِرًا
لَا تُنْجِبُ ..
فَلَمَّا قَالَتْ مَرْيَمُ :



﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

تَعَجَّبَ زَكَرِيَّا فِي نَفْسِهِ ، وَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يَرْزُقَهُ وَلَدًا ،
لِيَرِثَهُ فِي الْعِلْمِ وَالنُّبُوَّةِ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَخْشَى عَلَى قَوْمِهِ
الْفِتْنَةَ وَالضَّلَالَ مِنْ بَعْدِهِ ..

قال - تعالى :

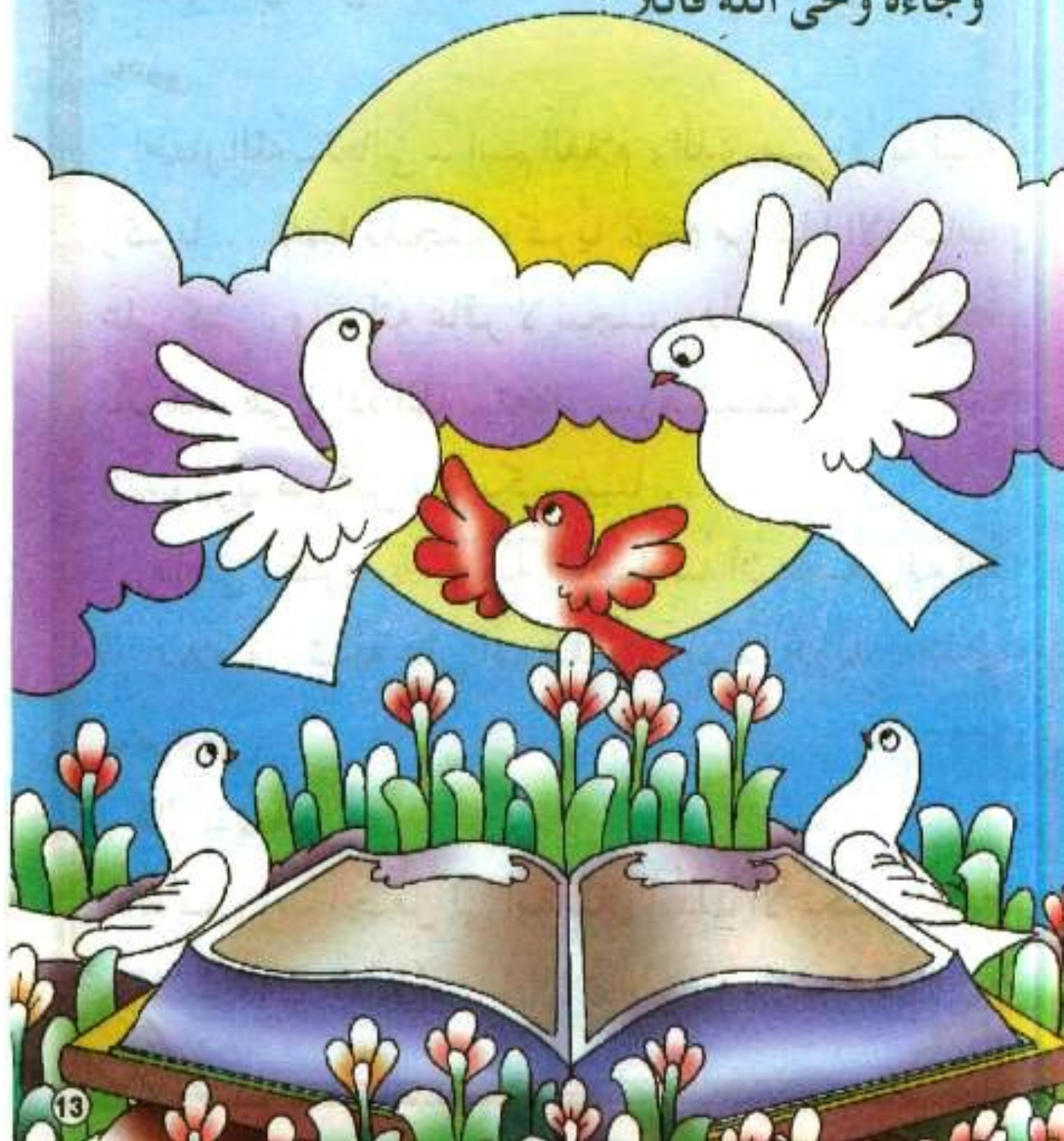
﴿ذَكَرْ رَحْمَةَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً
خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ
شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ
الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ
لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ
رَضِيًّا﴾ . [الآيات من ٢ - ٦ من سورة مريم]

هَمَسَ زَكَرِيَّا عليه السلام مُنَاجِيًا رَبَّهُ فِي قَلْبِهِ ، أَنْ يَهَبَهُ
طِفْلًا ، وَلَمْ يَكْدُ يَنْتَهِي مِنْ أُمْنِيَّتِهِ ، حَتَّى جَاءَهُ وَحْيُ
اللَّهِ مُخَاطَبًا :

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ

لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ . [الآية ٧ من سورة مريم]

فُوجِيَ زَكْرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْبَشْرَى مِنَ اللَّهِ - تَعَالَى -
فَأَحْسَنَ فِي قَلْبِهِ بِالْفَرَحِ ، لَكِنَّهُ تَسَاءَلَ مِنْدَهَشًا :
﴿ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ
بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا .
[الآية ٨ من سورة مريم]
وَجَاءَهُ وَحْيُ اللَّهِ قَائِلًا :



﴿كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتَكَ

مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ . [الآية ٩ من سورة مريم]

أَبْلَغَتْهُ الْمَلَائِكَةُ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُهُ بِغُلَامٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ
شَبِيهَا مِنْ قَبْلُ ، وَأَنَّ هَذَا الْغُلَامَ سَوْفَ يَكُونُ اسْمُهُ
يَحْيَى ..

اخْتَارَ اللَّهُ - تَعَالَى - اسْمَ الْغُلَامِ ، الَّذِي سَيُرْزَقُ بِهِ نَبِيُّهُ
زَكَرِيَّا .. فَلَمَّا تَعَجَّبَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَام مِنْ هَذَا الْإِنْجَابِ
عَلَى كِبَرِهِ ، وَامْرَأَتُهُ عَاقِرٌ لَا تَنْجِبُ ، فَأَخْبَرَتْهُ الْمَلَائِكَةُ
بِأَنَّ هَذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللَّهِ - تَعَالَى - وَمَشِئَتُهُ ، وَقَدْ خَلَقَ
اللَّهُ زَكَرِيَّا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا ..

وَنَاجَى زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَام رَبَّهُ طَالِبًا مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ آيَةً
أَوْ عَلَامَةً ، تَدُلُّهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ رُزِقَ بِهَذَا الْوَلَدِ ، الَّذِي
بَشَّرَهُ بِهِ ..

قال - تعالى :

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ

ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ . [الآية ١٠ من سورة مريم]

أَوْحَى لَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - أَنَّ عَلَامَةَ ذَلِكَ أَنْ يَجِدَ زَكَرِيَّا
نَفْسَهُ صَائِمًا عَنِ الْكَلَامِ ، وَأَنَّ عَلَيْهِ وَقْتُهَا أَنْ يَتَحَدَّثَ
إِلَى النَّاسِ بِالْإِشَارَةِ ، وَأَنْ يُسَبِّحَ اللَّهَ فِي الصُّبْحِ وَالْمَسَاءِ ،



وَأَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِالْإِكْثَارِ مِنْ تَسْبِيحِهِ ..

وخرج زكريا عليه السلام على الناس ذات يوم ، فوجد نفسه صائما عن الكلام ، فعرف أن زوجته قد أصبحت حاملا بالمولود الذي بشره الله - تعالى - به ، فتهلل قلبه بالفرح والشكر لله ، وأخذ يكثّر من تسبيحه ، ويأمر الناس عن طريق الإشارة بالإكثار من حمد الله وتسبيحه بكرة وعشيا ..

وانقضت شهور حمل زوجة زكريا ، فوضعت المولود ، الذي بشر الله - تعالى - به ، وأسماه يحيى ..

(تَمَّتْ)

الكتاب التالي

يحيى عليه السلام

احرص على اقتنائه

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٣٧٤٦
٩٧٧ - ٢٦٦ - ٥٨٤ - ٠